— ٣ —

إذا كانت المؤثرات الكبرى من امتزاج للثقافات وانصهار للحضارات واختلاط بين الأجناس ، لم تؤثر فى الشعر العربى فى نظر بعض مؤرخى النقاد — خلال القرون الثلاثة الأولى — التأثير الذى يطلبونه على بعد المسافة بينها وبين العصر الإسلامي الذى نحن بصدده . . فان الأولى ألا يظلم الشعر العربى فى هذا العصر فيطالب بتأثير للإسلام فيه يتعدى حدود الاعتدال ، ويتخطى كل معقول ، والعصر الإسلامى على أى حال كان لايزال قريب عهد من الجاهلية . وإلا كان البديل لهذا أن نذهب إلى نهاية الطرف الآخر الذى يقابل هذا الفرض ، فيلحق الضعف والهزال بشعر هذه الفترة من جراء تأثير الإسلام فيه ، ولا نرى غير نزعة التقليد تصحبه لاتفارقه أو تحيد عنه ، وننظر إلى الشعر الجاهلي يلتقى بالإسلام وإعجاز بيانه وجيشان الحياة فيه فنراه لايعبأ به أو يلتفت إليه أو يثير انتباهه منه شىء ، فيبقى الشعر العربى بعد الإسلام شعراً جاهلياً ، تتغير الحياة دون أن يتحرك فيه شريان أو وريد ، وتتبدل الأشياء دون أن يتخلى مما يملك عن شىء . وعلى ضوء هذا وضوء ما رأيناه عند الأستاذ «طه ابراهيم» علينا أن نقف الآن عند «الدكتور محمد مندور» فى «النقد المنهجي عند العرب» حين أراد أن يؤرخ للنقد العربى فى القرن الرابع ، فرأى الحلقة متصلة ، ورأى منتصف الطريق مرتبطاً بما قبله ، متصلا بما بعده ، فنظر إليه النظرة التى تحيط به ، ولم يقتطع منه جزءاً من حيث ينبغى أن يرى الأجزاء كلها ، فيقول :